سحر المزمار

بقلم : السيد خضير نعمان العبيدي

لم ادر كيف جئت ؛ ولكني هكذا أرى نفسي ، والوادي يضمني بين قطيع من الغنم . . . . .

هناك في ذلك الوادي الذي اجيل طرفي وسط ازهاره التي ينبعث منها اريج يمتزج مع النفوس فيسحرها ، تملكك مشاعري فصيرني ذلك المتعبد الذي يطوى ليله بنهاره .

كنت امتع نفسي بتلك المناظر واسرح ناظري فازيد في ابعاده حتى تقف باصرتي وكأنها تأبى ان تريني ما بعد عني من جديد .

كان زهره ينشر عبيره في الهواء فيملأه عطراً ويزيده اغراء في نفسي ، غرست اشجاره بايدسماوية لم اعرف ماشكلها؛ أهي على حظ من الجمال أم يا ترى يشوبها قبح ونفور .

كنت أرعاه واحن اليه وكان قلبي ينشد الوحدة فيه فلا ارى مؤنساً الاهو، يفرج عني كربتي تحت هذه الباسقات بطولها ، المشرئبة باعناقها وجمالها ؛ كنت اقضي زهرة حياتي فلم تعف نفسي ذلك اللون من الحياة ، كانت تحدثني وهي سابحة في عالم الخيال ، واللذة تكتنفها ، فتبادله ما نشعر به من راحة وهناء في لغة لم اكن يوما اجيد التكلم بها ، هذا لحن من تلك الألحان التي صاغها الاله لحياتي ، كنت ارعاه ويرعاني واضم له حناني ويعطف علي ، يضمني بين ارجائه الواسعة .

كنت مالكه من غير شراء لم ارثه فكنت فيه السيد المطاع اقتلع هذه واغرس تلك فازيده حسناً على بهجة .

هناك من على ذلك السفح اقتطعت لي بيتاً آوي اليه عند الغروب فلم ابخل عليه من ان اجعله ينطق بالحياة معبراً عن نطق وهو اعيا من ان يفهمك مراده ، يشعرك هو سيد هذا الوادي بلامنازع هذا هو مأواي الذي جعلته ملاذي في وحدتي على بعد منه اعددت بيتاً آخر ، هم رفاقي الذين اقضي معهم سحابة نهاري .

اخرج بهم كل صباح الى مرعاهم وهم اميل الى الوداعة منهم الى الشخوص الى اماكن بعيدة وكنت اذا ارسلت من مزماري لحناً خاصاً تراهم يتراكضون كأنهم في حلبة سباق فيقفون حولي وانا جالس تحت ظل شجرة والكل ينظر فارسل من الألحان ما اشاء كانت نفوسهم ترتاح الى هذا النوع من السلوك الذي لايفقهون منه شيئاً ولكنهم وما حيلتهم وانهم اعتادوا هذا الطراز من الحياة .

كان مزماري بمثابة المؤذن الذي ينادي باقامة الصلاة وحلول وقتها فانا جعلت من مزماري منبهاً لزوال النهار وحلول الليل فاسير امامهم كأني قائد جيش اتى من حومة الوغى والكل يتسابقون الى السير جانبي فأصل الى حظيرتهم .

هذا لون من الحياة التي كنت اقضيها في رحاب هذا الوادي اكسبني ارادة ضاهت الحديد قوة ماتداعت منه الجبال وتصدعت في تحمل هذا اللون . انها مهزأة كنت انا رائدها كل يوم من هذا الطراز. فلا افضل النكوص عنها . ولا ادعها وشأنها، صيرتني شخصاً استسلم الى مايوحيه اليه تفكيري، اذهب مذاهب شتى في مثل هذه التخيلات واجمع تلك الخيوط التي غزلتها تلك الوحدة التي انا حال بها وابدأ على ضوئها انسج ، على هذا المنوال اقسم يومي الى هذه وتلك كي اشبع منها غريزتي التي تتوق الى هكذا نوع .

كنت اقول هل يشاركني احد في هذا العيش فلا ادري اهناك جواب عن هذا أم يا ترى الاقي صعاب الامور تنزل على رأسي ، تا الله ما اشد الألفة الى اليف يشاركني واشاركه حياتي . فلا ارى الا بصيصاً من ذلك الأمل الذي يحوم حول نفسي فانا ديه وافسح له المجال واقول له تعال .

تعال لنعيش في ظل هذا الوادي . تعال لنكون اسعد خلق الله طراً . فلا حساب لنا وعاينا . نجوب تلك القفار ان شئت والا فسوف يظللنا سقف هذا البيت البسيط لننعم بقبس

الموضوع فنأتيهم بما لا قبل لهم به ونكشف الستار بصراحة عن كل سر مكنون [إن عادة العقرب] والعاقبة الحساب وكل آت قريب والحق ابلج والباطل لجلج ولن ينصر الباطل اقوال الجاهلين ولن يؤيده خزعبلات الموهين فان المسلمين المؤمنين ابعد غوراً من ان تنطلي عليهم هذه الاباطيل والاضاليل فعلام كل هذا التهويل والتضليل .

اذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلاغروان يرتاب والصبح مسفر

الكاظمية . ناصر الحق

منها او نجد فيها المتعة والهناء .

كانت تلك الليلة اشد تألقاً بضيائها . ونسيمها اخذ يداعب جفني فلم أر بداً من ان اخرج مزماري وارسل في ذلك الأديم الصافي الحاناً . صبغتها واسبغت عليها لوناً خاصاً بذلك الجو الهادئ والكل نيام . كانت تلك الألحان تمعن في البعد في ذلك السكون الهادئ .. فلم اشعر الا ومزماري وقع من يدي ورحت في اغفاءة اسلمت نفسي للكرى .

رأيت ... ؟ ولكني يا ترى ماهذا الذي هو واقف على باب الكوخ .

من تريد يا هذا ..... ؟

ضحكت وقالت أتيت على هدى من الحانك الساحرة . اخذتني هذه فارسلت خطاي ولم اعلم الى أي ناحية انا سائرة وهكذا تراني وقد القيت عصا تسياري .

تعالي اذاً فانك تعبى من كثرة السير .

[تالله لهذا الصوت كلما امعن سمعي له زادت خطاي نحوه]

انه سحر سماوي كان هذا الوادي يردد صداه فيالك من رجل سعيد تقضي حياتك بين تلك الأنغام وسحر هذا الوادي ومتعته انها هي فتاتي نعم ... ؟

كانت متوقدة الانوثة متفجرة الاميال ساغبة النزوات تشكو الى نفسها ألم هذه الوخدة البغيضه . ان قلبها كان يحدثها بالحب فيفيض حنانا .

كانت تنطق بلغة لم يفهمها كل متفقه بلغته ، صيغ وجهها من أشعة الجنة جمالا لو وصفها الشعراء لما واتتهم قرائحهم فيها .

لها جسم اكتنز لحماً ليس بافراط . رشيقة القدم لم تقع عليها عين إلا واصيبت بكلال من فرط ما نفذ فيها من جوى واسر للقلب . كانت تجذب القلوب فتوقع فيها وتتركها حيرى لا أمل لها للعاودة تلكم كانت فتاة احلامي يصفونها بالجمال لرائع قسماته ، لها عينان يتألق منها نور سماوي وسحر رباني ترددت قليلا كالخائفة ثم سارت نحوي فطويتها بين ذراعين في وله وهيام واخذت اهمس في اذنها زفرات قلبي المتصاعدة من وجد وغرام . كلفت بها حتى افصحت لها ما في قلبي من لغة الغرام معنىً وبياناً . انهالت عليها تقبيلا وهي مستسلمة بين احضاني كالحمل الوديع المطمئن الى صاحبه لا يبدي حراكاً كانت سابحة في عالم الخيال واللذة تكتنف نفسها فتبادلني ما يسمو به تفكيرها من لغة الحب . حتى اذا انطفأت تلك الشعلة وانطوى ذلك الهيام الذي حرقها بين احضاني ، تخلصت مني ومن عناقي وعادت الى الجلوس وكأن لم يحدث في تلك اللحظات ما يؤخذ عليها .

انتحت زاوية الكوخ وهي ترنو إليّ كأنها حزينة مثقلة الكاهل مسحت من عينيها دمعتين كانتا متحيرتان بين الانهمال والانكماش .

رأيتها فاسرعت نحوها في شغف سافر وحب مضطرم . فضحكت ضحكة ارتج لها صدرها الرجراج .

مالت نحوي وقد استهواني جمالها بدلال فاتن وإغراء خلاب مالت على جسمي بذلك الجسم الممتلئ بالقوة والنشاط وقالت اسمعني شيئاً بمزمارك الساحر فان نفسي تصبو اليه . لتكن الحانك ملهمة من ذلك الحب السماوي .

ارسلت لحناً وانا جد متأكد من انني سوف ادعها تهفو الى الزيادة في طلب تلك الألحان .

نعم تماديت واذا القطيع حولي فانقت وقلت مالذي حدى بكم وأتيتم فعلمت اني كنت في حلم .. انه مزماري .. ألا لعنة الله عليك ... كم ادخلت السرور الى قلبي .... ؟ .

اعظمية : خضير نعمان العبيدي

الوطن الهندي الجميل

ترجمها عن الانجليزية
الأديب عبد الرسول الشريفي

يا من هواؤه روح وريحان .
ويا من يمتد محيطه ، امتداد البصر .
فوق الصخور المرجانية والقيعان الكهرمانية .
ويا من نهيراته كالعرائس اللدنة .
الحب الذهبي الخلاب في مده وجزره !
وغاباته الرملية .. وعرائش البهار .. !
هي ذلك الفردوس الذي نحلم به .

* * *

ومضة الفكرة النيرة التي تشع على العقل في اوانها هي اقوى من جيش .

« فيكتور هيجو »